

الليالي المقمرة وبها ميل للنوم واللهو مع الذكور، وهي إلى هذا ترمز إلى التجديد، فإذا بحث الرجل عن زوجة جديدة أكثر شباباً وجمالاً من زوجته الأولى فإنه يقول: الطباء على البقر. وإذا أراد الإشارة إلى رحيل الحبيبة قال بأن ديارها تسكنها الطباء، وكانت أسماء الظبية تطلق على بعض النساء... أما في الشعر فإن للظبية أسماء كثيرة... على هيئة مسميات أو صفات⁽³¹⁾.

وللظبية دم أشد حمرة من سائر دماء الحيوانات الأخرى (والمسك بعض دم الغزال - المتنبى) وكانت العرب تسمي الطباء مطايا الحب. وفي الأساطير أن الظبي يحمل روح دموزي الذي قتلته الغيلان. وفي ملحمة جلجامش قال جلجامش لأنكيدو: يا أنكيدو إن أمك ظبية. ولذلك فقد فرّت الطباء عنه سبع ليال حين اتصل بالبغي⁽³²⁾.

ومن هذا التاريخ الدلالي الثري تبرز سمات أساسية هي الجمال والنفور والطهارة. وهذا (الجميل/ الطاهر/ النافر) لا بد أن يكون رمزاً للحبيبة وإشارة إليها، ولا بد أن يقتضي ذلك معنى الجدة والطرافة. ولذلك فإن العربي مال إلى صيده لكي يمتلك الحياة، ويدخل في عالم الطهارة والجمال ولو باصطيادها، وماذا يفعل مع النافر إلا أن يصيده، غير أن الأعرابي في الحكاية أطلق سهمه السحري لا ليصطاد، ولكن ليأخذ الظبي وذلك محافظة منه على حياة الرمز وما يرمز إليه من طهر وجمال وحبّ وجدة. وهذه معان لا يجوز عليها القتل ولكن يحق لطالباها أن يبتكر كل أدوات السحر والاحتياال لكي يفضي إليها.

وهذه قيمة شعرية مرتبطة بشعر الحب (حتى إنك لا تكاد تجد